مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 08/ العـدد: 02 (2022)، ص 153- 179

شارل دي فوكو في الجنوب الغربي الجزائري . المهمة المزدوجة 1905/05/03 . 1901/10/28

Charles de Foucauld in the Algerian southwest _the dual mission 1905/05/03 -1901/10/28

أ. ليندة عمراوي[*1]
[1]جامعة لونيسي علي -البليدة2 (الجزائر). el.amraoui @univ _blida2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/11 تاريخ النشر: 2022/12/25

ملخص:

إن منطقة الجنوب الغربي الجزائري وسكانها قد لفتت أنظار الباحثين والمؤرخين من عهد قديم يرجع إلى قرون طويلة قبل الميلاد وقد خصت بدراسات وتآليف لا زال معينها لم ينضب بعد، هذا وقد كان كثير من الباحثين هدفهم التعمق في البحث العلمي لهذه المنطقة التي جعلها موقعها الجغرافي منطقة إستراتيجية وصلة وصل بين حوض البحر المتوسط وإفريقيا جنوب الصحراء.

إنّ المكانة الإستراتيجية التي يحظى بها الجنوب الغربي الجزائري قد جعل فرنسا كدولة استعمارية تقوم بدراسة مخططها الاستعماري في الجزائر من عدة جوانب فكانت تقوم بإرسال بعثات علمية واستكشافية بمعية الحملات العسكرية إلى الصحراء بغرض الاستطلاع ودراسة ومعاينة ثقافة وتركيبة تلك المجتمعات المحافظة، وذلك تحضيرا للتوغل نحوها وتفكيكها والسيطرة عليها من خلال الاستيطان في الأرض باستغلال خيراتها، واستعمار عقول السكان بتنصيرهم وإبعادهم عن الإسلام، وبذلك تسيطر على السكان والمكان وهذا ما حاولت تجسيده من خلال سلسلة الترابط والوحدة بين التبشير الديني والاحتلال العسكري ودمج العمليتين في المنطقة، حين بعثت الجاسوس "شارل دي فوكو" لتحقيق هذه المهمة.

الكلمات المفتاحية: الجنوب الغربي الجزائري ، بني عباس ، شارل دي فوكو ، التوسع الاستعماري التبشير

Abstract:

The Algerian southwest region and its inhabitants have drawn the attention of researchers and historians from an ancient era that dates back centuries BC. They have been singled out for studies and compositions that are still undeveloped.

[*] المؤلف المرسل

This strategic position of the Algerian southwest has made France a colonial nation that is studying its colonial agenda in Algeria. In many respects, it has been sending scientific and exploratory missions together with military campaigns to the countryside and the desert to explore, study and examine the culture and composition of these conservative communities, in preparation for their incursions into, dismantling and control through settlement in the land, exploiting their own good and colonizing the minds of the population.

Key words: Algerian southwest, Beni Abbas, Charles de Foucault, colonial expansion. Evangélisme.

1. مقدمة:

يدخل الجنوب الغربي الجزائري ضمن القسم الأكبر من الصحراء الجزائرية ويتميز بشساعة المساحات التي تغطيها الكثبان الرملية مثل العرق الغربي الكبير وارتفاع درجة الحرارة والمدى الحراري وندرة الأمطار وعدم انتظامها ووفرة عدة أودية أهمها واد الساورة، أما من الناحية البشرية فإن الجنوب الغربي الجزائري يتميز بضآلة السكان الذين ينتظمون داخل بيئة اجتماعية ذات طابع بدوي، وهم صنفان البدو والحضر وينحدرون من أصول ثلاثة الأمازيغ والعرب والزنوج وقد تم بينهم عبر التاريخ تمازج واختلاط، فانصهرت هذه العناصر في بوتقة واحدة مكونة بذلك أهالي الجنوب الغربي الجزائري ضمن مجتمع متجانس له نفس العادات والتقاليد زاد الإسلام واللغة العربية من ترابطهم وتآخيهم.

وقد ظل الجنوب الغربي الجزائري وباقي الصحراء الإفريقية الكبرى منطقة مجهولة تماما لدى الأوروبيين قبل بداية حركة المغامرين تنحصر معارفهم عنها في معلومات الجغرافيين القدماء من الرومان والإغريق وعرب القرون الوسطى (مرموري ، 2002: 101)، وبانتهاء القرن الثامن عشر كانت أوروبا تهيئ لغزو القارة الإفريقية فاهتم المستكشفون الأوروبيون بمعرفة الطرق الصحراوية باعتبار الصحراء همزة وصل بين شمال القارة وجنوبها، ولتحقيق هذا الهدف أسسوا عدة جمعيات جغرافية وعلمية

تكفلت بإرسال البعثات الاستكشافية إلى الصحراء وكشف خباياها، وبالتالي فالاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية يعود إلى فترة ما قبل الاحتلال .

ولأن اكتشاف الصحراء كان من أولويات الإدارة الفرنسية وحركة الكشوف الجغرافية تُعد أولى مراحل التوسع الاستعماري فإن إدارة الاحتلال الفرنسي أخذت في إرسال البعثات الاستكشافية نحو الجنوب الجزائري والتي كانت تهدف من ورائها إلى اكتشاف المظاهر الطبيعية والجغرافية الخاصة بالمنطقة، ودراسة المجموعات السكانية ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ومن ثمة معرفة الإمكانيات الاقتصادية والبشرية للصحراء وتوظيفها في خدمة المصالح الفرنسية مستقبلا.

وهكذا أدركت السلطات الفرنسية منذ توسيع احتلالها للجزائر أن الجنوب الغربي الجزائري يُعد حجر الزاوية لاستعمارها وتوسيع إمبراطوريتها الاستعمارية في المنطقة، نظرا لما يتمتع به من موقع استراتيجي هام يجعلها تتحكم في الجزائر وتقضي على المقاومات الشعبية ويمكنها أيضا من السيطرة على المغرب الأقصى وغرب إفريقيا وربط هذه المستعمرات ببعضها البعض، فضلا عن كونه يزخر بخيرات زراعية ومعدنية من شأنها أن تخدم الاقتصاد الفرنسي لذلك كرست كل جهودها لاحتلال هذه المنطقة.(مياسي، 1996: 85) وعليه ارتأينا أن نعالج هذه القضية من خلال طرح الإشكالية التالية: ما مدى مساهمة الدراسات الاستعمارية الفرنسية للجنوب الغربي الجزائري في توسيع عملية الاحتلال الفرنسي للصحراء ؟ وتندرج ضمنها عدة تساؤلات فرعية هي:

فيما تكمن الأهمية الاستراتيجية للجنوب الغربي الجزائري بالنسبة للإدارة الفرنسية؟

لماذا اختار شارل دي فوكو منطقة بني عباس في الجنوب الغربي للقيام بمهامه الدينية والعسكرية؟

ما هي نتائج تجربة دي فوكو في الجنوب الغربي الجزائري خاصة على الصعيدين الديني والعسكري؟

فرضيات الدراسة:

الأهمية الإستراتيجية والخصوصية الاجتماعية التي يتميز بها الجنوب الغربي الجزائري كانت سببا في لفت انتباه الفرنسيين لاحتلاله والاستيطان فيه واتخاذه كقاعدة لمواصلة التوسع الاستعماري في باقي الصحراء الجزائرية وسائر القارة الإفريقية.

التنصير والاستعمار وجهان لعملة واحدة فالمبشرون هم الواجهة الدينية للمستعمر والاستعمار هو الحقيقة الاقتصادية والسياسية للمبشرين، لهذا تزامنت الحركتين طوال قرون طويلة، وتجسد ذلك في الجنوب الغربي الجزائري على يد الأب شارل دي فوكو.

أهداف الدراسة:

تعتبر تجربة الراهب شارل دي فوكو في الجنوب الغربي الجزائري وخصوصا في منطقة "بني عباس" تجربة هامة تستدعي الدراسة على المستوى التاريخي والانثروبولوجي بل وحتى السوسيولوجي، وعلى الرغم من أهميتها إلا أنها لم تحظ بالكثير من المعالجة ولهذا سوف نحاول في هذه الدراسة التطرق إليها من أجل التعرف على الدوافع والأسباب الفعلية التي وقفت وراء هذه التجربة ولاسيما الدينية منها، وطبيعة الأساليب المستخدمة في تنفيذها.

وصولا إلى استنتاجات موضوعية يمكن أن تستخدم كحلول مرجعية لمعالجة الأبعاد الاستعمارية للأعمال والمشاريع التي قام بها هذا الراهب والتي لازال تأثيرها إلى وقتنا الحاضر كونها أخذت أبعادا روحية وثقافية واجتماعية.

لا تزال الدراسات حول هذا الموضوع قليلة سواء بالنسبة للجنوب الغربي الجزائري أو بالنسبة لشخصية شارل دي فوكو، كما أن أغلب الكتابات في هذا المجال هي بأقلام أجنبية خاصة منها الفرنسية إضافة إلى مكانة هذا الموضوع الذي يكتسي أهمية خاصة

كونه ذا أبعاد تاريخية دينية، سياسية، اجتماعية، أنثروبولوجية، وحتى اقتصادية وعسكرية.

المناهج المتبعة في الدراسة:

المنهج هو طريقة موضوعية يتبعها الباحث في دراسته لتتبع ظاهرة من الظواهر بقصد تشخيصها ووصفها وصفا دقيقا وتحديد أبعادها بشكل شامل يجعل من السهل التعرف عليها وتمييزها، وانطلاقا من طبيعة الموضوع تبين لنا بأنه من الأفضل الاعتماد في دراستنا على المناهج التالية:

-**المنهج التاريخي:** تم توظيفه كأسلوب يتم من خلاله من خلاله تناول التطور والتحول التاريخي للأحداث التي مرت بها الصحراء الجزائرية عامة والجنوب الغربي بشكل خاص وتتبع مسار الاهتمامات الأوروبية بالصحراء والمحاولات الفرنسية الأولى للتوغل فيها والسيطرة عليها من أجل تكوين فكرة عامة وشاملة حول هذه التجربة وتداعياتها والتي من أخطرها توسيع الاحتلال العسكري ونشر التبشير المسيحي في المنطقة.

- **المنهج التحليلي:** تجسد في الرجوع إلى العمق التاريخي للجنوب الغربي الجزائري، وأهم أقوال وكتابات ورسائل الأب شارل دي فوكو وتحليلها لاستنتاج الخلفيات التاريخية للغات وعادات المنطقة، كما تجسد هذا المنهج أيضا في محاولة فهم حقيقة شارل دي فوكو من خلال بعض ما كان يقوم به في الصحراء باسم الدين وعلاقته بالجيش والإدارة الفرنسيين والدور الخطير الذي لعبه في المنطقة، إضافة إلى اعتماد الوصف الذي يُعد أحد أهم أدوات المنهج التاريخي من خلال محاولة كشف تجربة دي فوكو ووصف مميزات الجنوب الغربي الجزائري وتحديد الخصائص والأسباب والدوافع الحقيقية الكامنة وراء استقرار دي فوكو واختياره لمنطقة بني عباس ومدى تأثير ذلك على المناطق المجاورة لها سواء في الجزائر أو المغرب أو حتى غرب إفريقيا.

2. أساليب التوغل الفرنسي نحو الجنوب الغربي الجزائري:

1.2 الأسلوب الترهيبي:

استعمل الاستعمار الفرنسي أساليب متعددة للاحتلال فمنذ سنة 1889 لاحت في الأفق فكرة جديدة وهي احتلال الصحراء بالطرق السلمية الهادئة، وذلك بإقامة المؤسسات الاقتصادية وإنشاء المراكز التجارية في كل من توات(أنظر التعليق رقم 01) وتيدكلت (أنظر التعليق رقم 02)حتى تدخل هذه المناطق في قيود التبعية الاقتصادية للاستعمار، كما بدأت تكثف من دراساتها لهذه المناطق للتعرف أكثر على جوانبها البشرية والجغرافية والمائية والاقتصادية، وقد أرسل في هذا الإطار "فلامون"**Flamand** لإتمام أبحاثه ودراساته حول الجنوب(مياسي، 1996: 106)، فتعددت بذلك المشاريع الفرنسية التي جاءت متباينة في زمانها ومكانها وطبيعتها، فمنها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية ولكنها مشتركة في الهدف (عميراوي وآخرون، 2009: 63)، وقد حرصت فرنسا على منافسة بريطانيا في مجال التجارة عبر الصحراء الكبرى واعتبرت الصحراء الجزائرية بمثابة حجز الزاوية للتحكم في منافذها التجارية الأفقية والعمودية5.(قنان، 1994: 85).

لقد زودت البعثات الاستطلاعية العلمية منها والعسكرية المشروع الاستعماري بالبحوث والتقارير المفصلة عن الأوضاع العامة للصحراء الجزائرية، كما زودت العسكريين بمختلف الخرائط الجغرافية والطبوغرافية للمنطقة، وما إن أشرف القرن التاسع عشر(19 م) على نهايته حتى كانت فرنسا قد أتمت استعداداتها السياسية والعسكرية الداخلية منها والخارجية، للقيام بعمل عسكري حاسم يضع حدا للتردد الذي طبع السياسة الفرنسية في أقصى الجنوب ويتوج عمل نصف قرن من الجهود المضنية التي تحملها جيولوجيون وعسكريون ومكتشفون (رموم، 2016: 61)، بعد أن عاد هؤلاء المستكشفون بمعلومات قيمة عن الصحراء لاسيما ما تعلق بالخرائط والمدن والطرق والأسواق التجارية وهو ما استفاد منه الضباط الفرنسيون فيما بعد أثناء توغلهم نحو

الجنوب الجزائري والتوسع في الصحراء الإفريقية وكشف أسرار هذه البقاع(بوعزيز، 1999 : ص62)، مثل الدراسة التي قام بها دوماس **Daumas** (أنظر التعليق رقم 03) والتي كانت بعنوان "الصحراء الجزائرية" حيث بيّن نسبة تقدم الفرنسيين في تعرفهم على الصحراء والجهود التي يبذلونها للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول المناطق الصحراوية قبل التوسع فيها.(Daumas, 1845 : 6).

وقد تميزت سنوات ما بعد 1900 بإعادة تنظيم المناطق المحتلة حديثا حتى يتسنى للسلطات الفرنسية ربط مناطق الجنوب الصحراوي بالجنوب الوهراني، كما لجأت لإقامة الثكنات العسكرية والأبراج العالية لمراقبة المناطق التي احتلتها، واتخاذ هذه المراكز كنقاط ارتكاز ومنطلقات أمامية ثابتة لحركة الزحف والتوسع الاستعماري نحو الجنوب (مياسي، 2013 : 167)، ومع بداية القرن العشرين (20م) بدأت مرحلة جديدة في التوغل والتوسع، إذ عوضت الرحلات المعزولة والمهمات العلمية وبدأت اكتشافات الدولة ذات الطابع السياسي والعسكري، وهي على الخصوص أعمال الضباط الذين عليهم أن يثبتوا جدارتهم كغزاة أولا ثم كدبلوماسيين وعلماء ثانيا(رموم، 2016: 78)، وانصب بذلك انشغال فرنسا بالصحراء أكثر من الشمال وقامت بالعديد من الدراسات الطبوغرافية والمناخية والاجتماعية للمناطق التي وصلها المستكشفون حتى تتعرف على مسالك الصحراء ويسهل عليها التوسع جنوبا8(بوعزيز،1980 : ص19)، وقد تمكنت فرنسا من وضع يدها على أقصى الجنوب الغربي للجزائر في الفترة الممتدة ما بين 1899. 1903 وعيّنت "لابرين"**Laperrine** على رأس القيادة العسكرية التي استحدثت بجنوب الجزائر عام 1902 .(لمحرزي :18).

وبحلول القرن العشرين كانت البشرى بالنسبة للاستعمار الفرنسي في الجزائر باحتلال عين صالح التي طالما سعت السلطات الفرنسية لضمها إليها نظرا لأهميتها في عمليات التوسع في الجنوب ثم احتلال توات والهقار(مياسي، 1996: 111)، بعد عدة

محاولات تمكنت من خلالها القوات الفرنسية من الدخول إلى إقليم توات و إخضاعه بعد أن وقعت أدرار في قبضة القائد الفرنسي 10فيفري 1901(مياسي، 1996: 115).

كما تميزت سنة 1901 بإخضاع منطقة وادي الساورة وتنصيب الحاميات العسكرية بها، فقد نصبت حامية تاوريت وتاغيت تحت القيادة العليا للعقيد "بييه"**Billet** وتم احتلال "بني عباس" **Béni_Abbés**يوم 1مارس 1901، ونقل مركز مكتب الشؤون الأهلية من إيغلي إلى بني عباس، وقد أشرف على هذا الاحتلال "رسبورغ"**risbourg** قائد الناحية العسكرية بوهران (Ernest Marcel, 1930 :27-28)، وتمكنت القوات الفرنسية من اجتياز جبل بشار في نوفمبر 1903 الذي طالما صمد في وجه الاحتلال الفرنسي واحتلت كولومب بشار. ونصبت فيه مركز لتصبح عاصمة المنطقة(Ernest Marcel, 1930 :42).

2.2 الأسلوب الترغيبي:

استعمل الفرنسيون طرقا كثيرة ووسائل متنوعة لاختراق الصحراء منذ احتلال الجزائر إلى نهاية القرن التاسع عشر فإلى جانب الأساليب القمعية والعسكرية المعتمدة على التقتيل والتخريب والحرق والتدمير قاموا أيضا بإرسال البعثات الاستكشافية والعلمية وأوفدت العديد من المغامرين إلى الصحراء لتقديم معلومات هامة تساعد القوات الفرنسية فيما بعد على التوسع في الجنوب، تحت أقنعة وغطاءات مختلفة تارة باسم التجارة وتارة باسم السياحة.

ومن بين الرحلات الكثيرة التي عرفتها منطقة الجنوب الغربي الجزائري من طرف الرحالة والمستكشفين والرسميين من رجال السياسة والدين، كانت رحلة " الأب شارل دي فوكو " **Charles De Foucault**أحد أهم هذه الرحلات والذي أطلق عليه لقب "أسقف الصحراء"، فبعد رحلته إلى المغرب الأقصى في الفترة مابين20جوان 1883إلى غاية 23 ماي1884(Bazin, 1921 : 33)وتوغله في الجنوب المغربي عاد إلى فرنسا في 24 أفريل 1885 أين منحت له الميدالية الذهبية الكبرى وأصبح يسمى كبير المغاربة كما عكف في تلك

المرحلة على تحرير كتابه **Reconnaissance etitinéraire au Maroc** "استطلاع المغرب وبيان خط سير الرحلة الذي ضمنه تفاصيل رحلته ونشره في 1888 ما أكسبه شهرة كبيرة (Bazin, 1921 : 81)، وقد مثلت مغامرته تلك فتحا علميا بأبعاد جغرافية سياسية وعسكرية إذ أن نوعية المعلومات المتحصل عليها كانت دقيقة جدا ومدهشة وأصبح كتابه دليل الفرنسيين فيما بعد لاحتلال المغرب(Bazin, 1921 : 79).

وأصبح دي فوكو بذلك مرجعا للجيش الفرنسي في معرفة خبايا المغرب تمهيدا لمد السيطرة الفرنسية عليه واحتلاله وهذا ما تجسد في المحادثات التي كانت تجمع بينه وبين الجنرال **Lyautey** الذي كان يزوره باستمرار ويمكث عنده طويلا أثناء فترة إقامته في منطقة "بني عباس" الجزائرية القريبة من الأراضي المغربية (Pottier, 1939 :143)، ثم عاد إلى الجزائر بإرادة قوية وجعلها نقطة بدء لمشروعه الجديد فزار عدة مدن في الجنوب الجزائري من الغرب إلى الشرق (Bazin, 1921 : 81)، ثم انتقل إلى الأماكن المقدسة منذ 1888وبداية فيفري1889 في فلسطين وسوريا سنة 1890بأمر من أبيه الروحي (François Six, 1962 :35)، ليعود إلى باريس بعدها وبقي يجمع بين العبادة والخلوة وقد نصحه **Huvelin** بترجمة كل ما تعلمه من دراساته ورحلاته إلى أعمال تخدم وتفيد المسيحية (François Six, 196279 :)، وهو ما حاول دي فوكو تجسيده في الجزائر في كل من بني عباس بالجنوب الغربي ومنطقة الطوارق في تمنراست.

لقد فضل دي فوكو اختيار إفريقيا وبالضبط الجنوب الصحراوي أحسن منطقة لاستقراره وتجسيد مشاريعه نظرا لفقر سكانها واعتبارهم كفارا وهم الأكثر بعدا عن الإنجيل إضافة إلى أنها مستعمرة فرنسية، وقد عبر على ذلك بقوله: "الحب الكامل للرب والحب التام للعباد الأكثر بعدا عن الرب من أجلهم سأبذل قصارى جهدي لأمنح الفقراء حب واحد هو حب المسيح" (François Six, 1962 :81).

3. استقرار دي فوكو في بني عباس1901-1903 Béni Abbés:

انطلق الأب دي فوكو في شهر سبتمبر قاصدا إفريقيا وقد وضح ذلك في رسالة إلى قريبته Bondy فقال:" لقد قمت بجميع الإجراءات وشرعت في الانطلاق نحو جنوب مقاطعة وهران على حدود المغرب في إحدى المستعمرات الفرنسية التي لا يوجد بها راهبا"، ثم يتطرق إلى الهدف المزدوج وراء هذا الاختيار هو:

أولا: الحيلولة دون موت جنودنا في أماكن تقتل فيها الحمى أعدادا هائلة حيث لا يوجد فيها أي راهب.

ثانيا: عمل أكثر ما يمكن من الخير حاليا للسكان المسلمين والمهملون وهذا بنشر دعوة المسيح. (François Six, 1962 :89)

كما كتب لمعلمه" Huvelin "يقول: "هناك مهمة كبيرة يجب عليا فعلها في هذه المنطقة سواء بالنسبة للجنود أو بالنسبة للمسلمين "المسيح(François Six, 1962 :91) ، وهذا ما يوضح ويؤكد حقيقة شارل دي فوكو الذي مزج بين الجانبين الديني والعسكري فالهدف الأول له عسكري والثاني ديني، كما أنه جاء إلى الجزائر بمباركة القس Huvelin واستقبله فيها الضابط العسكريHenri و Guérin الذي أخذه إلى بني عباس وقرر استقباله فيها وهذا ما يدل على أن كل أوامره وقراراته مرتبطة بالقادة الدينيين والعسكريين.

وكان دي فوكو قد مكث في كنيسة سطاواليStaouéli بمدينة الجزائر ما بين 20 سبتمبر و14 أكتوبر 1901 ينتظر الحصول على الرخصة العسكرية من طرف الحاكم العام للجزائر للإقامة في منطقة بني عباس Béni Abbés بالجنوب الغربي الجزائري إلى أن تسلم من زميله السابق بالجيش ومسؤول شؤون الأهالي في الحكومة الجزائرية الرائد Lacroixالأوراق الضرورية للإقامة بالجنوب الوهراني(Bazin, 1921 : 198) ، كما حصل أيضا على إذن الآباء البيض التابعين للكاردينال "شارل لا فيجري" (التعليق رقم 04)لأن تلك المنطقة كانت تحت وصايتهم وكان الأب الروحي لها(André, 1973 : 45) ، فأخذ القطار

تاركا مدينة الجزائر وقاصدا وهران، وصل إلى واحة عين الصفراء أين استقبله الجنرال Cauchernezالذي سهل له طريق الوصول إلى بني عباسBéni Abbés والتي وصلها في 28أكتوبر1901.(François Six, 1962 :90).

بعد وصوله إلى بني عباس وصفها قائلا: " بني عباس من أجمل واحات الجزائر، فيها ما بين سبعة آلاف وثمانية آلاف نخلة التي تنمو على الضفة الشمالية للساورة على الأراضي والرمال وعدد كبير من النفورات وتسقى بمياه الفقاقير (جمع فقارة)، وهي تمتد على مسافة أربعين كيلومتر شمال الواحات ونهر وادي غير Oued Guire تحت مرتفعات الأطلس الأعلى المغربي .... والسكان هنا يعيشون في معاناة كبيرة حيث لا يوجد أي راهب لنجدتهم كما أن النخيل كثير جدا يمتد من فقيق إلى غاية عين صالح ..."(Bazin, 1921: 202-203).

1.3 المهمة الدينية:

باشر دي فوكو مهامه التبشيرية في "بني عباس**Béni_Abbés**"فأقام ديرا للعبادة متعدد الوظائف يتكون من كنيسة مصغرة وكوخ من الديس **"Zéribas"** يستعمل كغرفة نوم ومسكن، كما خصص فيه حجرات صغيرة لاستقبال الضيوف وعلاج المرضى، وأكد دوره في نشر المسيحية بين السكان باستغلاله ظروفهم القاسية وفي الوقت نفسه خدمة الاحتلال الفرنسي بتزويد الجنود بكل ما يحتاجون إليه وهذا ما وضحه بنفسه حيث قال في هذا الصدد: "قسمت حياتي بين الصلاة والعبادة...ودراسة اللاهوتيات والأعمال اليدوية وخصصت أكبر قسم لاستقبال الضيوف من بعض الضباط والجنود والكثير من العرب والفقراء الذين أمنحهم الشعير والتمر في حدود الإمكان(Gorée, 1936 :140)).

ومن بين أهدافه المُسطرّة من وراء ذلك هو اختراق السكان وتنصيرهم فقد قال مؤكدا ذلك :"سنصل بذلك شيئا فشيئا وبالتدريج بالصدقة العلاج، شراء وتحرير العبيد ..، كلها ستصلح القلوب وتفتح لطريق أمام التبشير المتواصل(Gorée, 1936 :155)"، فقد تمكن من شراء بعض العبيد وجعل بعضهم خدما له مثل الطفل الذي اشتراه في 12جويلية 1902 وكان عمره ثلاث سنوات وسماه عبد المسيح كما اشترى في أكتوبر من

السنة نفسها عبدا آخر في الخامسة عشر من عمره اسمه بول(Paul(André, 1973 : 50 ، وقد قال في هذا السياق :"كنت أحرر أحيانا عشرين عبدا في اليوم الواحد"، وذكر أيضا في رسالة إلى **Henry de Castries** قوله : "إن العبيد هو الجرح الأكبر في هذا البلد (François Six, 1962 :95-96)".

تتضح مهام دي فوكو والأهداف التي سعى إلى تحقيقها في الجنوب الغربي الجزائري من خلال ما كتبه في رسالة إلى أخته **Marie de Blic** بتاريخ 28 جانفي 1903 عندما كان مستقرا في بني عباس حين ذكر بأنه في المنطقة لغرض تحقيق ثلاثة أهداف مرتبطة ببعضها البعض وهي:

* تشكيل مجتمع جديد في المنطقة من الرهبان التبشيريين وعُبّاد القربان المقدس، وكأن دي فوكو لم يكن حلمه يقتصر على تنصير الجزائريين فحسب بل طمح بتحويلهم إلى مبشرين للمسيحية بعد اقتناعهم بتعاليمها واعتناقهم لها.

* خلق جيل جديد في بني عباس معتنق للمسيحية وهو من سيواصل المهام التبشيرية في باقي المنطقة وقد سماهم بالمتحولين الأصليين (يقصد الجزائريين المُرتدين عن الإسلام نحو النصرانية) وهذا ما يؤكد البعد المستقبلي لأعمال دي فوكو في المنطقة والرغبة المُلحّة للحكومة الفرنسية على تعميق هذه السياسة ليكون لها أثر على المدى البعيد.

*البدء في تأسيس مملكة مسيحية في المنطقة وفي المغرب ككل (De Foucault , 2005 :116)، وهو الهدف الأسمى الذي سعى دي فوكو بدعم من الفاتيكان والحكومة الفرنسية إلى تحقيقه بتحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع مسيحي، كما يبرهن بكلامه هذا على الأهمية الاستراتيجية لموقع الجنوب الغربي الجزائري في ربطه بين المغرب والصحراء الكبرى وتكوين مملكة مسيحية متكاملة ومترامية الأطراف.

وقال أيضا في هذا الصدد: "سأجمع أخوة يسوع في بني عباس مع السكان المحلين من خلال أعمال خيرية، وبفضلي سيتحصل الكثير من الفقراء والمسافرين على بعض الخبز واللحم والعلاج وسيتعرفون في الوقت نفسه على تعاليم المسيح (De Foucault , ..."

(112: 2005، وكان قد أشار في رسالة مؤرخة يوم 23 سبتمبر 1901 بأنه قد تحصل على كل التسهيلات الضرورية والتراخيص المهمة للقيام بمهامه وتحقيق رغبته في جنوب مقاطعة وهران وأنه سعيد بحمله رسالة يسوع في الجنوب الغربي الجزائري (De Foucault 2005 :109) ., وذكر أيضا في رسالة أخرى قوله :"أنا دائما مشغول بشكل مفرط وأنا مسرور لأن الله أراد واختار لي ذلك، وأنا مشغول جدا بالمباني والعمل عند سور الحديقة ورعاية الكنيسة وتنظيم الصدقات والعلاج واستقبال الضيوف والزوار ...الخ (De Foucault , 2005 :112)".

أما المبادرات الرمزية التي كان يقدمها دي فوكو فتمثلت أساسا في الصدقات والعلاج المجاني وتوزيع المئونة وهو يهدف بذلك إلى استدراجهم وكسب ثقتهم حيث يقول في هذا الصدد: "لابد من الفوز بثقتهم وجعلهم أصدقاء، ويتم ذلك عن طريق مساعدتهم وإعطائهم النصائح الجيدة وحثّهم على إتباع الدين الطبيعي والبرهنة لهم على أن المسيحيين يحبونهم(200: 1936, George Gorée). "

في 6مارس 1903 قام بزيارته **Henri Laperrine** القائد الأعلى على منطقة واحات الصحراء الجزائرية (وهذا يعني انه المسيطر على قورارة وتوات وتيدكلت) الذي كان صديقا مقربا منه والعلاقة بينهما كانت قوية جدا "فلابرين" كان على ثقة بنجاح دي فوكو في مهمته بالمنطقة وفي المقابل كان هذا الأخير مُعجب "بلابرين" أيضا لاسيما بعد الانتصار الذي حققه في معركة "تيت" في 7ماي 1902 ضد طوارق الهقار **(أنظر التعليق رقم04)** وحصوله على خضوعهم بعد سنتين، فكان لهذه الزيارة دور كبير في توسيع نفوذ دي فوكو إلى الجنوب واختراق المجتمع الصحراوي خاصة المجتمع الترقي.

. 2.3 المهمة العسكرية:

إلى جانب المهمة الدينية الذي أداها دي فوكو بمهارة عالية وتفان كبير أملا في تحقيق جميع أهدافه المسطرة بنشر المسيحية في الجنوب الغربي الجزائري على أكبر وأوسع نطاق، لعب أيضا دورا عسكريا رياديا وبارزا في المنطقة ومساعدة القوات الفرنسية على التوسع

فيها، فقد كان الضابط العسكري المختفي وراء قناع ديني كوسيلة تمويه للسكان المحليين واستراتيجية دقيقة وممنهجة لتنفيذ المخططات الاستعمارية في الجنوب، وكان قد تحدث عن إحدى رحلاته التي أظهرت بوضوح مهامه العسكرية واطلاعه على كل ما كان يحدث في المنطقة من أعمال توسعية فرنسية وما كان يقابلها من مقاومة شعبية من طرف الأهالي مثل ما ورد في رسالة أرسلها إلى أخته بتاريخ 16سبتمبر 1903 عنونها "تاغيت عبر عين الصفراء "وجاء فيها :"أختي العزيزة ،كتبت لك مؤخرا أنني ذاهب إلى الجنوب وها أنا على بعد 120كيلومتر في الشمال، ودائما الإنسان في التفكير والله في التدبير، كنت أستعد للمغادرة إلى الجنوب عندما تلقيت نبأ القتال الرهيب في المنغار حيث يتقاتل 110 رجال من الساعة التاسعة صباحا حتى الخامسة من مساء اليوم ضد القوات المغربية، وقد قتل ثمانية وثلاثون شخصا وجرح ثمانية وأربعون آخرون، بعد أن تم نقل الجرحى إلى تاغيت، ذهبت إلى هناك على الفور لتقديم المساعدة الدينية لهم، وصلت إلى هناك ومكثت عدة أيام، وأنا الأن أفكر في العودة بين 20 و25 من هذا الشهر إلى :بني عباس"، ربما سأقضي بعض الوقت في الجنوب في أكتوبر ونوفمبر، لم أقرر بعد ،هناك أيضا توجد حاميات بلا كاهن.(De Foucault , 2005 :1258-126)".

كما تحدث في رسالة أخرى عن مغادرته لمكان إقامته في بني عباس إلى حيث يكمن أي خطر يهدد الجنود الفرنسيين، فقد كان يغادر إذا ما سمع مجرد إشاعات عن تسلل بعض الأهالي وتهديدهم للمراكز العسكرية فهو موجود في كل الأيام التي يحتاج فيها ضحايا المعارك القاتلة إليه (De Foucault , 2005 :125)، وعّبر عن خدماته العسكرية أيضا في رسالة وجهها إلى أخته في 29 أوت 1903 بقوله :"عزيزتي أعلمك أنني من المحتمل أن أكون بعيدا لبضعة أسابيع عن مقر إقامتي في بني عباس وربما أكثر من هذه المدة وذلك من أجل الذهاب لأحمل تعاليم المسيح إلى مواقع في الجنوب حيث لا يحصل جنودنا أبدا على مساعدة دينية، وهذا سيحدث لي من وقت لآخر حتى تصبح محطات الإرسال العسكرية الفرنسية في الجنوب في مأمن من جميع الأخطار المحتملة، صلي إلى يسوع أن يكون ذلك

قريبا ونصلي معا من أجل أن يكون هنا رهبان وكهنة في هذه المناطق الشاسعة De)."
Foucault, 2005:122

وقد أصبح دي فوكو بذلك مرجعا للجيش الفرنسي في معرفة خبايا الجنوب الغربي الجزائري وكذا المغرب تمهيدا لمد السيطرة عليه واحتلاله وهذا ما تجسد في المحادثات التي كانت تجمع بينه وبين الجنرال "ليوطي" فقد كان يزوره باستمرار أثناء فترة أقامته ببني عباس الجزائرية القريبة من المغرب الأقصى ومن جملة النصائح التي قدمها لهذا الجنرال وللجيش الفرنسي بشكل عام ضرورة استخدام القوة بجميع أشكالها لتنفيذ خطة الاحتلال والتوسع.

بالإضافة إلى كل هذه الرسائل التي تضمنت أدلة واضحة في كلام دي فوكو عن ازدواجية مهامه الدينية والعسكرية بالجنوب، كان خروجه من بني عباس في رحلة استكشافية إلى باقي مناطق الجنوب الجزائري دليلا آخر واضح على جمعه بين المهام الدينية كراهب متدين ومبشر للنصرانية والمهام العسكرية كضابط متفنن في وضع الخطط الحربية، ففي صباح 13 جانفي 1904 التحق الأب شارل دي فوكو بفرقة عسكرية مكونة من خمسين ضابطا رفقة خادمه بول Paulوغادر بني عباس نحو "أدرار" أهم مناطق توات لملاقاة صديقه "لابرين"، وفي طريقه كان دي فوكو يسجل كل ملاحظاته حول المنطقة طبيعتها وسكانها ويحاول ربط علاقات مع الأهالي من خلال توزيع بعض المواد الغذائية للفقراء، وبعد ثمانية عشر يوما من الانطلاق وفي 1فيفري وصل دي فوكو إلى أدرار.

وبعدها مباشرة انطلقت رحلته رفقة خادمه بول وصديقه لابرين وعدد من الجنود الفرنسيين وقد استمرت هذه الرحلة ثمانية أشهر جابوا خلالها معظم القبائل والمناطق الصحراوية منها أزجرAzdjers، Rat Keloui ,Hoggar ,Illemeden, Iforas, ,Taitoq, وبقي دي فوكو في عين صالح لمدة ثلاثة أشهر.(Bazin, 1921: 283-284).

بدأ دي فوكو في هذه الفترة في عين صالح بين قبائل الطوارق(أنظر التعليق رقم 05)عمله كمستكشف جغرافي مثل ما فعل سابقا في المغرب حيث يسجل المعلومات عن الأهالي ويرسم المخططات ويتعلم اللهجة المحلية لغة تخاطب الطوارق "تماشق (أنظر التعليق رقم06) Tamasheq :"يقول دي فوكو :" إن سكان المنطقة كسكان المغرب، يتحدثون لهجتهم المحلية البربرية أكثر من اللغة العربية، وهذه اللهجة هي اللغة القديمة لسكان شمال إفريقيا وفلسطين وهي اللغة التي تحدث بها أهل قرطاج ... وأنا بصدد تعلمها لأتمكن من التحدث مع الجميع، قررت إذن البقاء في هذه الجولة لدراسة لغة الطوارق.(Bazin, 1921 : 284-286)

كما وصف منطقة الهقار بقوله:" الهقار بلد الجبال والهضاب العليا ودرجات الحرارة فيه منخفضة والجو بارد جدا إلى درجة أن هناك بعض الأشخاص ماتوا هنا، وجبل الهقار مطل على تمنراست التي تمثل بوابة نحو الجنوب وقربه واد يسمى واد أغرغار ويتوسط المنطقة سوق حافل يتمثل في تيت "(Bazin, 1921 :289).

وبعد استقراره في المنطقة لفترة كتب ملاحظاته حول سكانها فتحدث عن الأهالي وعن المجندين منهم في الجيش الفرنسي وذكر أن أهل الساورة والطوارق صعب جدا تغيير دينهم لأنه راسخ ومتجذر فيهم كما أنهم شديدو الطباع، عكس العبيد إذ أنه من السهل استقطابهم وتحويلهم إلى النصرانية" (Bazin, 1921 : 295-297) .

وفي 18 نوفمبر 1904 انتقل دي فوكو إلى غرداية ومكث فيها إلى غاية 7 جانفي 1905 عند الآباء البيض ونسق معهم حول مشروع التنصير في الصحراء خاصة وأنه قد التحق به إلى بني عباس لمساعدته في هذا المشروع قسان آخران الأمر الذي مكن هؤلاء الثلاثة من مضاعفة التبشير المسيحي في الجنوب عامة وفي الجنوب الغربي بشكل خاص، وقد ذكر في رسالة لأخته أنه قد وجد في غرداية أكثر من ثمانية رهبان وما بين ستة عشر وثمانية عشر من الأخوات البيض.(De Foucault , 2005 :132-133).

بعد ذلك عاد إلى بني عباس في الجنوب الغربي الجزائري ليزاول مهامه السابقة بعد أن قطع معظم الصحراء مثل الساورة أدرار، قورارة (أنظر التعليق رقم 07) ، غرداية، تيميمون وغيرها، وقد دون ذلك في إحدى رسائله واصفا رحلته بين قبائل الصحراء مع صديقه هنري لابرين وما كان يفعله خلالها بقوله "أيامي مشغولة بدراسة لغة هذه المنطقة اللغة البربرية الأصيلة وبترجمة الأناجيل إليها(De Foucault , 2005 :136)" .

عمل الأب دي فوكو أثناء فترة إقامته ببني عباس على تجسيد أحلى وأجمل صورة لتمثيل المسيح ومحاولة إقناع المسلمين باعتناق المسيحية فكان حريصا على أن يكون دائما متواضعا ولطيفا ووفيا كما كان يسوع خاصة في فترة خلوته، وهي تقريبا نفس الملامح التي يصور بها القرآن تلاميذ المسيح أو أصحابه "أولئك الذين نالت قلوبهم رحمة وإحسان من الله، والذين لا يتكبرون".(Merad, 1975 :31).

حاول دي فوكو أيضا تقمّص شخصية مصطنعة وإبراز نفسه قدوة للسكان حتى يُعجبوا به وبدينه فأظهر نفسه المرابط الأقرب لهم والمتفهم لظروفهم والمختلف تماما عن المرابطين والأشراف المحليين في المنطقة الذين قال عنهم أنهم لا يفعلون شيء ويمضون معظم أوقاتهم في تعاطي الكيف وشرب الشاي ويتظاهرون بكثرة التديّن على باقي فئات المجتمع ...عكس دي فوكو الذي كان الصديق والأخ خاصة لتلك الفئات المحرومة"، Charles De Foucauld , 2005: 193))

كما أنه كان من أهم أساليبه في إبراز شخصيته التظاهر دائما بالسعادة والضحك مهما كانت الظروف، أي أنه سعى لأن يكون نموذجا فريدا على الساحة المرابطية في الوسط الإسلامي وأعطى للمجتمع الإسلامي فكرة مختلفة عما كانوا يعرفونه عن العائلة المرابطية التقليدية حيث مثل قمة الاختلاف بينه وبين المرابطين المحليين سواء من حيث الهيئة أو الشكل أو اللغة إضافة إلى الاختلاف الديني، لكن الاختلاف الأساسي يكمن في مستوى العلاقات الإنسانية.(Ali Merad, 1975: 39) .

وبعد هذه الرحلة انتقل دي فوكو للاستقرار في أقصى الجنوب الجزائري بالهقار (تمنراست) 1905.1916ليواصل القيام بدورين العسكري بمراقبة الوضع الأمني في المنطقة والديني بمواصلة مهامه التبشيرية ،فاستقر بين 1 و8 أفريل 1905 في قلب الصحراء بعد أن وصلته رسالتين من لابرين يخبره بإمكانية العودة الى الهقار والاستقرار بتمنراست رفقة القائد العسكري Dunaux (رئيس ملحقة عين صالح) فانطلق رفقة خادمه بول، وفي 25 جوان 1905 وصل إلى عين ازول أين استقبله شيخ الطوارق الأمنوكال "موسى اق مستان Moussa Ag Amastane"المُعين من طرف السلطات الفرنسية وبعد ثلاثة أيام وفي إحدى ضواحي منطقة توات التقى أخيرا بـ Dunaux وكان يرافقه كل من المستكشف والجغرافي E.Gautier. والجيولوجي Chudeau والكاتب Pierre Mille إضافة إلى مفتش التلغراف(Bazin, 1921 : 308-309) Etiennot ، والذي قبل الخضوع لهم باستخدام سياسة فرق تسد بعد إقصائهم لأتسي(Pandolfi, 1998 : 51) ، وكان أق مستان يتمتع بنفوذ قوي لدى الطوارق لذا لجأ الفرنسيون إلى التفاوض معه من أجل التوسع في صحراء الهقار أي أن السلطات الفرنسية اعتمدت الطرق الهادئة والسلمية لتحقيق أهدافها في المنطقة(Metois,1906 :14)، رغم عملها على الاحتفاظ بالجنوب تحت الحكم العسكري المباشر،(جلال، 1959 : 226).

ثم يتحدث دي فوكو عن استقراره بمنطقة الهقار ويقول:" بفضل المسيح أصبح استقراري ممكنا بتمنراست وفي أي مكان آخر في الهقار، وقد وضع لي بيتا وحديقة لأجل استقراري الدائم، كما أنني اخترت تنمراست قرية بعشرين نارا (بيتا) في منطقة جبلية تامة، في قلب الهقار.... لقد اخترت هذا المكان المهمل وقررت الاستقرار فيه:(Bazin, 1921 311)

هذا وكان دي فوكو قد شرح في رسالة لأخته مؤرخة في 16سبتمبر 1905 جملة أعماله ومشاريعه المستقبلية في الهقار قائلا: "أنا مرتاح جدا لاستقراري في هذا البلد وفي هذه المنطقة بالذات، فيها عدد قليل من السكان المستقرين بشكل دائم حوالي عشرون

فقيرا يتوزعون على مساحة ثلاثة كيلومتر، لكن في الوقت نفسه هناك الكثير من الرحل في الضواحي وهم من يشكّل القوة الفعلية للبلد، وقد اعتاد كلاهما (البدو والمستقرين)على زيارتي طلبا للدواء، والفقراء لطلب القمح من حين لآخر...أنا مشغول بالعمل، أريد أن أُنهي في أقرب وقت ممكن قاموس تارقي . فرنسي وآخر فرنسي . تارقي، وأنا مجبر على استغلال كل ساعة في هذا العمل كما أنني أشتغل بيدي حتى أرى الأهالي يشتغلون في الأعمال الصغيرة، لكنني في الوقت نفسه راهب أيضا وخادم للكنيسة ومبّشر للمسيحية لذلك أريد أن أتمكن من المبادئ الأساسية لفهم لغة هذا الشعب، وأنا متعطّش لإنهاء هذه الأعمال(Jean François Six : 149,150) .

وبعدها مباشرة ومثلما فعل ببني عباس شرع في بناء دير متعدد الوظائف يتكون من كنسية مصغرة للعبادة وكوخ من الديس Zéribas يستعمل كغرفة نوم ومسكن، غرفة لاستقبال الضيوف وعلاج المرضى، ورواق أو ممشى طوله ستة أمتار وعرضه متر وخمسة وسبعون سنتيمتر ويفصل بينه وبين الغرفة المكتسبة ستار، واشتهر كأول قداس في الهقار منذ 7سبتمبر 1905 وبقي فيه إلى غاية خريف 1906 حيث غادر إلى بني عباس التي أمضى فيها الخريف والشتاء ثم عاد إلى تمنراست في بداية صيف 1907(Bazin, 1921 : 312) ، وسيظل مستقرا بها إلى غاية وفاته في الفاتح من ديسمبر عام 1916م.

لقد تجسد الدور الريادي الكبير للأب شارل دي فوكو في المجال العسكري وخبرته الفائقة في التخطيط الحربي وإعطاء التعاليم العسكرية للجنود والضباط الفرنسيين بشكل واضح خلال فترة اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914.1916)، وذلك من خلال قيامه بمراقبته تحرك أعضاء الحركة السنوسية التي كانت منتشرة على الحدود الليبية الجزائرية والتي كانت تثير مخاوف القوات الفرنسية المتمركزة في الجنوب الشرقي الجزائري، بل وكان دي فوكو محافظا على ضحكته وهدوئه وأعماله الخيرية التي كان يقدمها للسكان المحليين حتى لا يثير انتباههم لما كان يحدث في المنطقة بشكل عام وما كانت تعانيه فرنسا جراء هذه الحرب بشكل خاص.

وكان خبر اندلاع الحرب العالمية الأولى قد وصل إلى الهقار يوم 3سبتمبر1914 ووصلت المعلومات إلى دي فوكو بأن ألمانيا أعلنت الحرب على فرنسا واقتحمت بلجيكا والكثير من المناطق في أوروبا وظل في تلك الفترة ماكثا في تمنراست لضمان الأمن والحفاظ على السلم فيها(Bazin, 1921 :429) ، حيث قال: "لن أترك تمنراست وسأبقى هنا حتى أحافظ على السلم(Jean François Six : 286) ، لكنه رغم ذلك ظل منشغل التفكير في عائلته وأصدقائه ووطنه وقد عبر عن ذلك في رسالة إلى أخته ماري في 15سبتمبر 1914 قال فيها:" إن خبر اندلاع الحرب قد وصل إلى هنا في 3سبتمبر، وأنت تعلمين جيدا أنني أفكر فيكم وقلبي وعقلي معكم جميعا ومع الجنود الفرنسيين الموجودين في ساحات القتال على الحدود، حفظ الله فرنسا وحفظ أطفالك، أنا أصلي من أجلكم ...سأبقى هنا في تمنراست وأعمل على تهدئة النفوس وضمان الهدوء (De Foucault , 2005 :197) "وفي اليوم نفسه يضيف:" الطوارق لا يعرفون شيئا عن ألمانيا بل إنهم يجهلون حتى اسمها، كما أنهم يجهلون كل شؤوننا الأوروبية سيبقون حتما في هدوئهم الاعتيادي فهم منشغلون فقط بحاجياتهم المادية دون أن يشكوا بالعاصفة التي تعصف عندنا، إلا إذا كانت هناك تحريضات من الجزائر، السودان، أو طرابلس (Jean François Six : 286) ".

ولتأكيد هدوء المنطقة كان أكثر حرصا على التظاهر ببقاء حياته عادية مثلما كانت من قبل محافظا على ضحكته وتقديمه المساعدات للمحتاجين رغم أنه كان يعاني في داخله دون أن يرى أحد ذل ،(Bazin, 1921: 431)، ومن خلال هذا يتضح أنه كان ينوي العودة إلى فرنسا بسبب هذه الحرب ومساعدة وطنه عسكريا وهو صاحب الخبرة والتجربة في هذا المجال لكنه تراجع عن ذلك وقرر البقاء في الهقار مفضلا القيام بدورين العسكري بمراقبة الوضع الأمني في المنطقة والديني بمواصلة مهامه التبشيرية، وأشار إلى ذلك في رسالة إلى أخته مؤرخة في 30 سبتمبر 1914 حين قال: "هنا المنطقة لازالت هادئة والوضع نفسه في باقي أنحاء الجزائر" ويضيف في رسالة أخرى في 17جانفي 1915:" المنطقة هنا في هدوء تام وعميق أعتقد أن السكان لا يعلمون بأحداث تركيا ودخولها

كطرف في الحرب... بينما العكس في طرابلس الغرب . ليبيا. فقد وصلتني أخبارا بوجود تحركات عديدة ضد الإيطاليين) ...(Bazin, 1921: 202,201).

كل هذه الأقوال تؤكد مزاولة دي فوكو لمهامه العسكرية حيث كان يقوم بتحليل عميق للوضعية في المنطقة ومراقبة الوضع الأمني في ليبيا وتحركات الإيطاليين والسنوسيين وما سينتج عن ذلك من تأثير على الحدود وعلى الوضع في الجزائر، ويبدو أنه كان خبير ومحلل جيد للأحداث والوضعية الاستراتيجية في المنطقة فقد كانت السنوسية في تلك الفترة ذات نفوذ واسع على الحدود الليبية. الجزائرية بمناصرة بعض القبائل من الطوارق، وقد أشار إلى ذلك عندما قال:" هناك تمرد في الجنوب الطرابلسي بالقرب من حدودنا...ونحن نخشى اجتياز تلك العصابات المتمردة للحدود، لقد قمنا مؤخرا بتدعيم مراكزنا الحدودية...(Gorée, 1936:290)، كما أنه بعث بأكثر من أربعين رسالة ما بين ديسمبر 1914ونوفمبر1916لاسيما مع أكثر أصدقائه من الضباط العسكريين وتضمنت كل أخبار المنطقة وأوضاعها وتحركات السنوسيين على الحدود الجزائرية وكل أخبار الصحراء طيلة فترة الحرب(Bazin, 1921 :432) .

4. خاتمة:

من خلال ما تم التطرق إليه في هذه الدراسة يتضح جليا أن مصلحة الوطن تكون دائما فوق كل اعتبار وهذا ما جسده الفرنسيون في الجزائر وفي الصحراء بشكل خاص عندما تجند الجميع سواء الضباط العسكريون في توسيع الحملات العسكرية والاستكشافية أو الأنثروبولوجيون وعلماء الاجتماع في دراسة المجتمعات الصحراوية، أو رجال الدين والرهبان في تشجيع الإرساليات التبشيرية وهدفهم جميعا خدمة اقتصاد فرنسا ومستقبلها مهما كانت الظروف والتحديات والعواقب بل والاستعداد الكامل للفناء في سبيل تحقيق ذلك، وهذا ما مثله النموذج "شارل دي فوكو" حين جمع بين العديد من الوظائف والمهام لخدمة وطنه وقد دفع حياته ثمنا لذلك.

وتتمثل أهم النتائج المتوصل إليها من هذه الدراسة فيما يلي:

. أن الإدارة الفرنسية في الجزائر اتبعت إستراتيجية خاصة في تمسيح المجتمع الجزائري تميزت بالتدرج فحاولت في البداية إبراز المعالم المسيحية الموجودة في الجزائر والتي تعود إلى فترة ما قبل الفتح الإسلامي، والتنقيب على الآثار المدفونة التي تعود إلى العهد الروماني ثم العمل على نشر لغة المستعمر ودينه وتغذية اللهجات المحلية كما فعل "الأب شارل دي فوكو" عندما اهتم بدراسة لغة الطوارق "التماشق" وألّف معجمين من الفرنسية إلى الترقية ومن الترقية إلى الفرنسية إضافة إلى ترجمته الإنجيل إلى هذه اللغة "التماشق."

. أن فصول هذا المخطط التبشيري المعّد للصحراء قد أشرفت عليه الكنيسة الكاثوليكية بمعية الحكومة العامة، ما جعل النشاط التنصيري يسير بمعية العمل العسكري ويكمله وما تأسيس جمعية إخوان الصحراء المسلحين التي أقامها لا فيجري في بسكرة1891 ، وتجربة دي فوكو الذي كان قائدا عسكريا وراهبا دينيا إلّا دليلا قاطعا على أن العمل العسكري والتبشير الديني وجهان لعملة واحدة وهي استغلال الشعوب ماديا وروحيا.

. أن الأب شارل دي فوكو كان يسعى إلى إخضاع الجنوب الجزائري إلى رجال الكنيسة والجيش لهذا نُصب قسيسا عاما في الصحراء بعد أن قُدمّت له كل التسهيلات والإمكانيات للقيام بمهامه التنصيرية، وهكذا استقر بالهقار مدعوما من طرف فرنسا ومباركا من قبل روما، وظل في نظر الكنسية رجل دين كبير وفي نظر فرنسا وسيلة عسكرية وأنثروبولوجية كبرى من وسائل تحقيق أطماعها الاستعمارية التوسعية التي تبنتها في أعماق الصحراء الجزائرية.

. أن دي فوكو فشل في تحقيق أهدافه بسبب نظرة الطوارق التي ظلت على غرار باقي الجزائريين ترى الأوروبيين وكل ما يخصهم مرتبط أساسا بالكفر ولهذا كان الطوارق يطلقون على الفرنسيين اسم "إكوفار" أي الكفار وعلى شارل دي فوكو اسم "أكلي . ن . غيسى" أي عبد عيسى المسيح، وقد أكد ذلك رينيه بازين بقوله: "إن الأهالي متغطرسين فهم يرون الأوروبيين عامة والفرنسيين بشكل خاص أشخاص متوحشين، كفار وغير مؤمنين وكانوا يقولون لنا أنتم تملكون الأرض لكنكم لا تملكون السماء ...وهم مذنبون بأخذهم هذه النظرة السيئة علينا، ثم إن تعليم قوانين وأحكام السلم في هذه المناطق مؤجلة إلى وقت آخر لأن المهمة ليست سهلة في هذا المكان، وإلا سنفنى إما بالجنون أو بالحرب " .(René Bazin ,1921: 329)

. ورغم كل الأعمال التي قام بها من التعليم وتوزيع المئونة والصدقات العديدة التي تقرب بها للسكان ورغم تمكنه من كسب ود بعضهم في الجنوب الغربي إلا أنه فشل في تحقيق الهدف الرئيسي الذي جاء من أجله إلى المنطقة وهو التنصير وإخراج هؤلاء من ملتهم وتحويلهم إلى مسيحيين فقد فشل في تنصير ولو فردا واحدا من سكان الصحراء فحتى العبد Paul الذي اشتراه وحرره بنفسه ورباه واعتنى به منذ كان صغيرا وجعله خادمه الخاص منذ أن كان في بني عباس تخلى عنه بمجرد وصوله سن الرشد وعاد إلى الإسلام.

إذن فالراهب دي فوكو كان شخصية استعمارية مزدوجة الأدوار غريبة الأطوار تقمصت عدة أدوار مثّل شخصية متعددة المواهب والمهام فهو المغامر والمستكشف والراهب الديني والضابط العسكري والمترجم والمحلل، اختار العيش في الجزائر وبالضبط في قصر بني عباس أين قضى عامين، ثم تحول إلى الهقار بإرادة من الجيش وتوغل نحو السكان العزل تحقيقا لرغبة الاستعمار الذي سطّر له برنامجا يخدم أطماعه ومآربه الاستعمارية التوسعية.

وتبقى هذه الشخصية من الشخصيات التي أثارت ولازالت تثير العديد من التساؤلات والإشكاليات في انتظار حقائق وأعمال أخرى قد تجيب عنها، كما يبقى هذا المجال خصبا لازال في حاجة ماسة إلى دراسات مكثفة تثري الموضوع.

التعليقات والشروح:

(التعليق رقم01) توات: واحة كبيرة بالجنوب الجزائري تمتد من الغرب إلى الشرق وتضم عدة قصور وتعد ملتقى الطرق التجارية بين الشمال والجنوب فهي محط القوافل التجارية للرحل المتوغلة نحو إفريقيا جنوب الصحراء = محمد فرج: (2007)إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص14.

(التعليق رقم 02) تيدكلت: كلمة أمازيغية تعني كف اليد، تطلق على المنطقة الممتدة جنوب غرب منطقة توات العليا والسفلى، عاصمتها مدينة عين صالح التي كانت ملجأ لطوارق الهقار وأهل أدرار، تعتبر ملتقى الطرق التجارية الرابط بين تونس شرقا وطرابلس

الغرب عبر غدامس = شارل أندري جوليان : (1976)تاريخ شمال إفريقيا، ج2، ترجمة المنجي سليم وآخرون، تونس، الدار التونسية للنشر، ص273.

(لتعليق رقم03) :Daumas: هو جنرال فرنسي ولد في 1830 تم تجنيده في الجزار سنة 1835، كان له اهتمام بالتأليف فكان عسكريا وكاتبا في الوقت نفسه، وكانت له مجموعة من المؤلفات حول الجزائر منها الصحراء الجزائرية دراسة تاريخية وجغرافية، القبائل الكبرى، خيول وعادات الصحراء، المرأة العربية...الخ، قام بعدة رحلات لاكتشاف الصحراء الجزائرية منها رحلته الأولى إلى ورقلة، ثم الثانية إلى توقرت، ثم غرداية وعين صالح وغيرها من المناطق الجزائرية، توفي سنة 1871. =مصطفى بن واز :"المنظور الفرنسي للصحراء الجزائرية"دوماس إيجان "نموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية،" م03، جامعة طاهري محمد- بشار ،3. ع01، يناير 2020، ص249.

(التعليق رقم 04) الكاردينال شارل لا فيجري: من مواليد 1825 . 1892 رئيس أساقفة الجزائر، مؤسس جمعية الآباء البيض سنة 1868 قاد حملة تبشيرية شرسة ضد الجزائريين =الصادق دهاش: (2006) نتائج ثورة 1871 وأبعادها ومظاهرها، مجلة المصادر، العدد 14، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 41.

(التعليق رقم 05)الطوارق: يطلق عليهم بالأمازيغية "إموشار" واختلفت المصادر في تحديد نسبهم بين من يراهم أحفاد الليبيين، ومن يرجعهم إلى الهكسوس، الفراعنة، الفينيقيين، العرب، وغيرهم، وهو يدينون بالإسلام = Maurice Benhazera : (1864) Six mois chez les Touareg de l'Ahaggar , Alger ,l'ypo graphie Jourdan ,p 85

(التعليق رقم 06) تماشق: هي لغة تخاطب الطوارق تكتب بحروف التيفيناغ تحتوي على نسبة كبيرة من حروف اللغة الفينيقية، تكتب بشكل عمودي أو أفقي من اليسار إلى اليمين أو من اليمين إلى اليسار وهذه القريبة من اللغة العربية هي الأكثر اعتمادا= Henri

Duveyrier : (1864) les Touareg du nord exploration du Sahara , ,Paris , éditeur challamel ainé ,libraire, p388

(التعليق رقم07) قورارة: أ جرارة أو تيجورارين هي أحد ثلاث أقاليم التي تتشكل منها أدرار {تولت، قورارة وتيدكلت} تتموقع من شمال إقليم توات من حدود تسابيت جنوبا، إلى تبلكوزة شمالا تتربع على واحة من النخيل تزيد مساحتها عن 10586كلم2 .=عبد الله طيبي: (2017) قورارة تراث وثقافة، مجلة البدر، المجلد09، العدد 12، جامعة بشار، ص 605.

5- قائمة المراجع :

أولا: باللغة العربية:

1. بوعزيز يحي، (1999) *مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية*، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
2. بن واز مصطفى: (يناير 2020) ، المنظور الفرنسي للصحراء الجزائرية"دوماس إيجان "نموذجا، *مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية،*" المجلد*3*0، العدد01، بشار، جامعة طاهري محمد.
3. جوليان شارل أندري : (1976)*تاريخ شمال إفريقيا*، ج2، ترجمة المنجي سلسم وآخرون، تونس، الدار التونسية للنشر.
4. دهاش الصادق: (2006) نتائج ثورة 1871 وأبعادها ومظاهرها، *مجلة المصادر*، العدد 14، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
5. رموم محفوظ : (2016) "الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية"،*مجلة الحوار* الفكري، العدد 11، الجزائر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
6. عبد الله طيبي: (2017) قورارة تراث وثقافة، *مجلة البدر*، المجلد09 ، العدد 12، جامعة بشار.
7. عميراوي احميدة وآخرون : (2009) *السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)*،الجزائر،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
8. قنان جمال:(1994) *قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر*، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر.
9. حمد فرج: (2007)*إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين*، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
10. لمحرزي عبد الرحمن:"أدرار من مقاومة الاستعمار إلى التحرير"، *مجلة القصر*، العدد8 ، الجزائر، منشورات دار الثقافة لولاية أدرار.

11- مرموري حسن: (2002) *التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين دراسة سوسيوتاريخية*، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.

12- مياسي ابراهيم : (1996) توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، الجزائر ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

13- مياسي ابراهيم :(1996) *توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري1881- 1912* ، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

14- مياسي ابراهيم :(2013) *مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962* ، الجزائر، غرناطة للنشر.

15- يحي جلال: *السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830 إلى 1962*، ط1، القاهرة.

ثانيا: باللغة الأجنبية

16. André Marie :(1973)*Lérmite du grand désert _le pére de Foucauld* , Toulouse ,imprimerie fournir.

17. Bazin René :(1921) *Charales de Foucauld explorateur du Maroc_ermite au Sahara* ,Paris.

18 Benhazera Maurice : (1864) *Six mois chez les Touareg de l'Ahaggar , Alger* ,l'ypo graphie Jourdan ,p 85

19. Daumas Eugene:(1845*) le Sahara Algérien études géographique statistique et historique sur la région au sud des établissement Française en Algérie* ,Dubos frères fortin, Masson et G-Alger, Paris.

20. De Foucauld Charales :(2005) *Lettres à sa sœur Marie de Blic,* France, présentées et annotés par Philippe Th iriez, aditions le livre ouvert.

21 Duveyrier Henri: (1864) les *Touareg du nord exploration du Sahara*، Paris , éditeur challamel ainé ,libraire, p388

22. Ernest Marcel :(1930) *Chroniques de l'Ouest saharien(1900-1930)*، Paris، Comité de l'Afrique française.

23. Gorée George :(1963) *Sur les traces de Charales de Foucauld*، France ،nouvelliste Lyon.

24. Merad Ali :(1975) *Charles de Foucauld au regar de L'islam*، Bellegarde ،préface du p .Michel Lelong ,la Scop_Sadag.

25 Metois Florent-Alexis:(1906) *la soumission des Touaregs du nord* ,Challamel ,Paris.

26. Paul Pandolfi :(1998) In Salah 1904 Tamanrassete 1905 les deux soumission des Touaregs Kel Ahaggar, *in cahiers d'étude Africain.*

27. Pottier René :(1939) *La vocation Saharienne du pére de Foucauld* ,Paris.

28. Six Jean _François :(1962) *Vie de Charels de Foucauld*, Paris, édition du seuil ,27Rue Jacob.